

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ كِتَابِ التَّوْبَاتِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُمَّ كَلْتُومَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ

رَأَى الْبُكَرَةَ كَثِيرًا

رَبِّهَا - بَعْدَ

(١)

أم كلثوم بنت أبي بكر

• عندما كانت أم كلثوم جنيناً في بطن أمها قال أبوها أبو بكر لعائشة :
استوصي بها خيراً .

• وقال لها زوجها طلحة الفيّاض :
إنك مُوفِّقة بنت مُوفِّق .

أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ

أَبْوَابُ الْمَكَارِمِ :

* جُمِعَتْ لِهَذِهِ الْقَائِمَةِ مِنَ الْقَضَائِلِ مَا لَمْ يُجْمَعْ لِامْرَأَةٍ سِوَاهَا ؛
فِيْمَنْ عَاصَرَهَا مِنْ نِسَاءِ التَّابِعِينَ .

* فَصَهْرُهَا : أَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ ، زَوْجُ أُخْتِهَا عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - .

* وَأَبُوهَا : ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، وَمَجْمَعُ كُلِّ فَضِيلَةٍ ، الصَّدِيقُ
الْأَوَّلُ ، وَالْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ ، سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ،
الَّذِي قَالَ فِيهِ الْقَائِلُ فَأَجَاد :

لَا تُفْضَلُ عَلَى الْعَتِيقِ صَدِيقاً
فَهُوَ صَدِيقُ أَحْمَدَ الْخَطَّارِ
وَإِنْ ارْتَبَتْ فِي الْأَحَادِيثِ فَاقِراً
« ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ »

* وَجَدُّهَا لِأَبِيهَا : أَبُو قَحَافَةَ ، صَحَابِيُّ وَأَبُو صَحَابِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - .

* وَجَدُّهَا لِأَبِيهَا : أُمُّ الْخَيْرِ سَلْمَى بِنْتُ صَخْرٍ ، صَحَابِيَّةٌ قَدِيمَةٌ

الإسلام - رضي الله عنها - (١) .

* وأختها : عائشة أم المؤمنين ، الصديقة بنت الصديق الأكبر ،
زوجة النبي ﷺ ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق - رضي الله عنها - .

* وأختها الأخرى : أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين - رضي الله
عنها - .

* وإخوتها لأبيها : عبد الرحمن ، وعبد الله ، ومحمد ، من فرسان
مدرسة النبوة ، ومن أبطال المسلمين ، ومن الشجعان المذكورين .

* أما زوجها : فهو سلف النبي ﷺ ، ومن سبق إلى الإسلام ،
وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الأخيار الأجواد سيدنا طلحة بن
عبيد الله - رضي الله عنه - .

* وأما التابعة صاحبة هذه المكارم ، ومن نستمتع بسيرتها فهي أم
كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وأُمها حبيبة بنت خاروجة الأنصارية
الخرزجية (١) ، تزوجها أبو بكر - رضي الله عنه - في الإسلام .

* وكان لأم كلثوم هذه شأن وهي ما تزال حَمَلاً في بطن أمها ،
حيث إن أبا بكر الصديق أوصى بها أختها عائشة وصية تدلُّ على فراسته
وإكرام الله عزَّ وجلَّ له ، ونحن إن شاء الله مرسلو القول في هذا .

* * *

(١) اقرأ سيرة سلمى بنت صخر أم سيدنا أبي بكر في كتابنا « نساء من عصر النبوة »
الجزء الأول .

(٢) الطبقات (٤٦٢/٨) ، ونسب قريش (ص ٢٧٨) ، وتاريخ الإسلام
(١٣٦/٤) ، ومهذب التهذيب (٤٧٧/١٢) .

• اسْتَوْصِيْ بِهَا خَيْرًا • :

• كان سيدنا أبو بكر الصديق - عليه سحائب الرضوان - قد وَهَبَ لابنته عائشة - رضي الله عنها - أرضاً بالعالية^(١)، وكان النبي ﷺ أعطاه إياها فأصلحها وغرس فيها ، ثم جعلها لابنته أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها - ؛ فلما حضرته الوفاة - وكانت زوجته حبيبة حاملاً - فكَّر في ردُّ المال على ورثته ، وكان شديد الحرص على أن يدعَ هذه الدنيا بريئاً ، وعلى أن يلقى الله عزَّ وجلَّ وقد ألقى عن نفسه كلَّ ما يخشى أن يؤاخذَه اللهُ عزَّ وجلَّ به ، عندئذ دعا ابنته عائشة - رضي الله عنها - وقال لها :

يا بنية ، إنَّ أحبَّ النَّاسِ غَنِيَّ إليَّ بعدي أنتِ ، وإنَّ أعزَّ النَّاسِ عليَّ فقراً بعدي أنتِ ، وإني كنتُ نَحَلْتُكَ - أعطيتُكَ - أرضي التي تعلمين ، وإنك لم تحوزيها ، وأنا أحبُّ أن ترديها عليَّ فيكون ذلك قسمة بين ولدي على كتاب الله عزَّ وجلَّ ؛ فإنَّما هو مال الوارث ، وإنَّما هما أخواك وأختاك .

قالت عائشة - رضوان الله عليها - : هذه أختي أسماء قد عرفتها ، فمن الأخرى ؟ ! .

قال - رضوان الله عليه - : ذو بطن ابنة خارجة ، قد ألقى في روعي أنَّها جارية ؛ فاستوصي بها خيراً .

(١) والعالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد إلى المدينة المنورة من قرأها وعمليها إلى تمامة .

فكانت كما قال ، وولدت أم كلثوم بعد موته - رضي الله عنه - (١) .

* ومن الجدير بالذكر أن أبا بكر - رضي الله عنه - قد ورثه أبوه أبو قحافة ، وزوجته : أسماء بنت عميس ، وحبيبة بنت خارجة ، وأولاده : عبد الرحمن ، ومحمد ، وعائشة ، وأسماء ، وأم كلثوم (٢) .

* * *

أم كلثوم وتربية عائشة :

* حافظت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - على وصية أبيها ، وحفظتها في أختها أم كلثوم - وكانت بها مستوصية - فلما شبت أم كلثوم عن الطوق ، أخذت عائشة - رضي الله عنها - ترعاها رعاية الأم الرؤوم ، وتحفظها من كل ما يدعو إلى إزعاجها ، وراحت تعلمها وتلقنها المعارف ، حتى تخرجت من مدرستها الفقهية والحديثية وروت عنها ، وأضحت من حافظات حديث رسول الله ﷺ ، ومن النسوة الثقات اللاتي يؤخذ عنهن الحديث .

* وقد روى عن أم كلثوم بنت أبي بكر جمع من أهل العلم والمعرفة والفضل ، وفي مقدمتهم : سيدنا جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي المشهور ، وهو أكبر منها ، وهي من التابعيات اللواتي روى عنهن الصحابة .

(١) انظر المصادر التالية بعد الجمع بينها : الطبقات (١٩٤/٣ و ١٩٥) ، ونسب قريش (ص ٢٧٨) ، والحيوان للجاحظ (٥٠/٦) .
(٢) الطبقات (٢١٠/٣) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٢٠/٣) .

* وروى عنها ابنها : إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي ، وطلحة بن يحيى بن طلحة ، والمغيرة بن حكيم الصنعاني^(١) ، وجبير بن حبيب ، وغيرهم^(٢) .

* وروى لها الإمام مسلم في الصحيح ، والترمذي في السنن . ومن مروياتها ما أخرجه الإمام مسلم - رحمه الله - بسنده عن المغيرة بن حكيم الصنعاني ، عن أم كلثوم بنت أبي بكر أنها أخبرت عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

أُعْتَمَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى ذَهَبَ عَامَّةُ اللَّيْلِ ، وَحَتَّى نَامَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى ؛ فَقَالَ : « إِنَّهُ لَوْ قُتِلَ لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي »^(٣) .

* * *

أَتْرَعَيْنَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ :

* كان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه - صاحب الأمر في الجزيرة

(١) المغيرة بن حكيم الصنعاني التابعي ، روى عن أبيه وابن عمر وأبي هريرة ، وأم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وفاطمة بنت عبد الملك ؛ وروى عنه مجاهد ، ونافع مولى ابن عمر ، وعمرو بن شعيب وآخرون .

وثقه يحيى بن معين والنسائي والعجلي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وروى له البخاري ومسلم . (تهذيب التهذيب : ٢٥٨/١٠) .

(٢) تهذيب التهذيب (٤٧٧/١٢) .

(٣) صحيح مسلم (١١٦/٢) كتاب الصلاة ، باب : وقت العشاء وتأخيرها .
« وحتى نام أهل المسجد » : هذا محمول على نوم لا ينقض الوضوء ، وهو نوم الجالس مكاناً مقعده .

العربية ، وصاحب الغلبة على مُلْك الأكامرة والقياصرة والفراعنة ، ومدبر الحُكم في المدينة المنورة - رجلاً يعيش في بيته عيشة الكفاف ، يقنع من الغذاء والكساء بحظ لا يمتناه كثير من الرجال ، ويزهد فيه كثير من النساء .

* وليس عجباً أن يخطب الخليفة عمر بعض النساء ، فأبين عيشه ، لأنه كما وصفته أمّ أبان بنت عتبة بن ربيعة - وكان قد خطبها فرفضت - : إنه رجلٌ أذهله أمرُ آخرته عن أمر دنياه ، كأنه ينظر إلى ربّه بعينه .

• وهذا ما كان يحدث لأمّ كلثوم بنت أبي بكر مع أمير المؤمنين عمر ، فقد خطب سيدنا عمر أمّ كلثوم إلى أختها عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - ، وأرسل لعائشة في ذلك ، فقالت له : الأمر إليك ، ثم سألت أختها - أمّ كلثوم - فأبته وقالت : لا حاجة لي فيه ، فزجرتها عائشة وقالت : أترغبين عن أمير المؤمنين ؟ ! .

قالت : نعم ، إنه نحسُّ العيش ، شديدٌ على النساء ، ولا طاقة لي بذلك .

* وكرهت أمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن تجبه عمر بالرّفْض ، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص^(١) - رضي الله عنه - فأخبرته ، ووسطته أن يحتال لعمر برفقهِ وحُسن تدبيره ، فقال عمرو : أكفيك .

(١) في الأغاني (١٣/١٣٩) ، والعقد الفريد (٦/٨٩ و ٩٠) أن المغيرة بن شعبه هو الذي قام بالوساطة بدلاً من عمرو .

فأتى عمر وقال له : يا أمير المؤمنين ، بلغني خيراً أعيدك بالله منه .
قال : وما هو ؟ .

قال : خطبت أمّ كلثوم بنت أبي بكر ! .

قال : نعم ، أفرغيت بي عتبا ، أم رغبت بها عني ؟ .

قال : لا واحدة ؛ ولكنها حديثه ، نشأت تحت كنف أمّ المؤمنين في
لين ورفق ، وفيك غلظة ، ونحن نهابك ، وما تقدر أن نردك عن خلق من
أخلاقك ؛ فكيف بها إن خالفتك في شيء فسطوت بها ، كنت قد
خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك ؟ !! .

ولكنّ عمر العبقرى الذكيّ فهم أنّ عمرو بن العاص ؛ لا يقدم على
هذه الوساطة بغير موّسط ، وأنّ في الأمر ممانعة على نحو من الأنحاء ،
فسأله كأنه يستطلع ما وراءه من هذه الممانعة وقال : فكيف بعائشة وقد
كلّمتها ؟ .

قال : يا أمير المؤمنين ، أنا لك بها ، وأدلك على خير منها ، أمّ كلثوم
بنت علي بن أبي طالب ، تعلق منها بتسب من رسول الله ﷺ .

* * *

(١) عن تاريخ الطبري (٥٦٤/٢) ، والبداية والنهاية (١٤٤/٧) بتصرف يسير .
وأوّد هنا ألا أترك هذه الحادثة تمرّ دون تعليق ، فقد كانت قسوة مبيدنا عمر - رضي
الله عنه - غلاباً ، فلا تطول بالناس عشرته حتى ينقشخ هذا الغلاف عن قلب مفعم
بالعطف والمودة ، مفتوح الجوانب لكلّ عاطفة كريمة ، فمساؤه اللاتي عاشرنه قد كلّفن
بحبه ، ورضين بمودته وعطفه ، واقرأ في هذا سيرة زوجه عائكة بنت زيد في كتابنا
« نساء من عصر النبوة » الجزء الأول ؛ ثم من خلال ذلك مصداق ما قلناه من
خلال رثائها لعمر ، ولولا مودته التي تنفذ إلى القلوب لما بكته عائكة ذلك البكاء
الشديد - رضي الله عنه وعنهما - .

إِنَّكَ مُوقَفَةٌ بِنْتُ مُوقٍ :

• تزوج أم كلثوم بنت أبي بكر ، سيدتنا طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - ، فولدت له زكريا ، ويوسف ، وعائشة بنت طلحة .

* وعاشت أم كلثوم مع زوجها طلحة عيشة المؤمنة العابدة الراضية ، وكانت خير زوجة ، وخير أم ، وما حَمَدَ النَّاسُ فضيلة للمرأة بنتاً كانت أو زوجاً أو والدة ، إلا وكانت أم كلثوم فيها على أجمعها وأسمائها ، وأحقها بالتمجيد والإكبار .

• فقد كانت أم كلثوم - رحمها الله - ، ورثت عن أبيها الكرم ، - ومن كُأبي بكر في الكرم ؟ - كما نشأت في تربية أختها عائشة - رضي الله عنها - ، وعائشة مشهورة بالجدود والكرم ، مشهودة لها بهذه الفضيلة ، ثم إن طلحة - زوج أم كلثوم - قد سماه النبي ﷺ : طلحة الخير ، وطلحة الفياض ، وطلحة الجود ، وبين هذه الخصال الحميدة عاشت أم كلثوم تشجع زوجها على المضي في الإنفاق في وجوه الخير ، وشهد شاهد من أهل طلحة لأم كلثوم بهذه الفضيلة ؛ فقد ذكر موسى بن طلحة بن عبيد الله ، أن أباه طلحة - رضي الله عنه - أتاه مالاً من حضرموت سبعمئة ألف فيات ليلته يتململ .

فقال له أم كلثوم : مالك يا أبا محمد ؟ .

قال : تفكرت منذ الليلة فقلت : ما ظنُّ رجلٍ برَبِّهِ ، يبيت وهذا المال في بيته ؟ ! .

فقلت : فأين أنت عن بعض أخلاقك ، فإذا أصبحت فاقسمها .

فقال لها - وقد سرَّ برأيها وذهب عنه ما كان يجده - : رَحِمَكَ اللهُ !
إِنَّكَ مَوْفِقَةٌ بنت موفِّقٍ . قال موسى - وهي أم كلثوم بنت أبي بكر - .

فلما أصبح ، دعا بجفان ، فقسمها بين المهاجرين والأنصار ، فبعث
إلى عليٍّ - بن أبي طالب - منها بجفنة .

فقالت له أم كلثوم : أيا محمد ! أما كان لنا في هذا المال من
نصيب ؟ .

قال : فأين كنتِ منذ اليوم ؟ فشأنك بما بقي .

قالت أم كلثوم : فكانت صرةً فيها نحو ألف درهم^(١) .

ولا شك في أن أم كلثوم قد سارعت هي الأخرى بالإنفاق ؛ لتحوز
فضيلة الكرم ، فبعثت بالدرهم إلى مستحقِّها .

* وظلت أم كلثوم مع زوجها طلحة إلى أن قُتل يوم الجمل سنة
(٣٦ هـ) ، عندئذ أخرجتها عائشة إلى مكة ، وورد أن عائشة - رضي
الله عنها - ، حجَّت بأختها أم كلثوم في عِدَّتِها من طلحة^(٢) .

* * *

(١) سير أعلام النبلاء (٣١/١) بتصرف يسير .

(٢) الطبقات الكبرى (٤٦٣/٨) و « العدة » : مأخوذة من العَدَّ والإحصاء ، أي ما
تحصيه المرأة ، وتعدّه من الأيام والأقراء . وهي المدة التي تنتظر فيها المرأة وتمتنع عن
التزويج بعد وفاة زوجها أو قراقه لها . وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً ما لم
تكن حاملاً .

ويقول الفقهاء : ويجب على المتعدة أن تلزم بيت الزوجية حتى تنقضني عدتها ، ولا
يجز لها أن تخرج منه ، ولا يجعل لزوجها أن يخرجها منه ، ولو وقع الطلاق ، أو =

بَعْدَ طَلْحَةَ :

* بعد مقتل طلحة - رضي الله عنه - ، تزوجت أم كلثوم عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي - عم الشاعر المشهور عمر بن أبي ربيعة - فولدت له عثمان ، وموسى ، وإبراهيم ، وأم حميد ، وأم عثمان^(١) .

• وظلت أم كلثوم بنت أبي بكر - رحمها الله - تتابع حياتها في المدينة تحت ظلال فقهِ أختها عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - .

• ولم تُشر المصادرُ إلى تحديد وفاة أم كلثوم ، ولم تذكر كذلك مكان وفاتها ، ولكنَّ الدلائل تشيرُ إلى أن وفاتها كانت في المدينة المنورة .

• ويبدو أن وفاتها كانت بعد سنة (٥٨ هـ) ، أي بعد وفاة أختها عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - .

= حصلت الفرقة ، وهي غير موجودة في بيت الزوجية وجب عليها أن تعود إليه بمجرد علمها بذلك .

وللفقهائِ أقوالٌ في خروج المتوفى عنها زوجها ؛ فذهب بعضهم إلى أن تخرج نهاراً وبعض الليل ولكن لا تبيت إلا في منزلها ، وذلك أن سبب خروجها هو إصلاح حالها وشؤونها وأمور معيشتها .

ولهذا فقد كانت عائشة - رضي الله عنها - نفتي المتوفى عنها زوجها بالخروج في عدتها ، وخرجت بأختها أم كلثوم حين قُتل عنها طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - إلى مكة في عمرة أو حج .

وهذا باب واسع ؛ يُراجع في كتب الفقه كالأم للشافعي .

(١) أنساب الأشراف (٤٢١/١) ، وجمهرة أنساب العرب (١٤٧/١) ، وتاريخ الإسلام (١٣٦/٤) ، والطبقات (١٧٢/٥) .

* وهكذا طويت صفحةً تابعةً كريمة الأعراف ، طيبة الأخلاق ،
فرحم الله أم كلثوم بنت أبي بكر ، فقد كانت بحق خير ابنة ، وخير
زوجة ، وخير أم ، وخير متعلمة ومعلمة - محدثة - ، وحق لها أن تكون
قدوة لغيرها ، ومثلها فلتكن النساء .

* * *